العدد 10 مجلة دراسات في الإنسانيات والعلوم التربوية تموز 2025
No. 10 Journal of Studies in Humanities and Educational Sciences July 2025
Print ISSN 3006-3256 Online ISSN 3006-3264

علاقة الاطباء المسيحيين (النصارى) بالخلفاء العباسيين

م.د. محمد نوح خضر علاوي
م.د. فراس محمد حسين
المديرية العامة لتربية نينوى

مستخلص البحث

شهد البلاط العباسي دخول العديد من مشاهير الأطباء المسيحيين (النصارى) الذين اعتمد عليهم الخلفاء العباسيين منذ العصر الأول في علاجهم والعناية بصحتهم حتى أصبحوا من حاشيتهم المقربين ويرافقونهم في قدومهم وأسفارهم. ولم يفتقر إليهم مجلس الخلافة، فقدموا لهم الرواتب والهدايا السخية وشجعوهم على الترجمة والكتابة، التي أنفقوا من أجلها أموالاً كثيرة، وفي دراستنا سنقدم دخول الأطباء المسيحيين البلاط العباسي، وطبيعة العلاقة بين الخليفة وأطبائه، ودور هؤلاء الأطباء في الدفاع عن القضية المسيحية لأنهم الأقرب إلى الخليفة العباسي.

الكلمات المفتاحية: الخليفة، الاطباء، الترجمة، المسيحية، جند نيسابور

The Relationship of Christian Doctors with the Abbasid Caliphs

Dr. Muhammad Nuh Khader Allawi
Dr. Firas Muhammad Hussein
General Directorate of Education, Nineveh

Abstract

Abbasid court witnessed the entry of a number of famous Christian doctors who were relied upon by the caliphs in the first era to treat them and take care of their health, until they became a group of the caliph's close entourage, accompanying them in their dissolution and travel, and the caliphs were not without them. They have a lot of money for that. In this paper, we will present the entry of Christian doctors into the Abbasid court, the nature of the relationship between the first-era caliphs and their doctors, and the role of these doctors in defending Christian issues, being the closest to the Abbasid caliph.

Key word: Caliph, doctors, translation, Christianity, Jund Yusapur.

المقدمة

لقد عكس وجود الأطباء المسيحيين في البلاط العباسي صورة جيدة بين المسيحيين والمسلمين في البلاد العربية الإسلامية، إذ كان هؤلاء الأطباء يعيشون في بيئة سلمية مع الخلافة. وكانوا يحظون بالاحترام والتقدير، ويعطون رواتب سخية وهدايا وعطايا، وفي الوقت الذي كان فيه الصراع محتدما بين الدولة العباسية والرومان، الذين كانوا مسيحيين أيضا، أوكل الخلفاء أرواحهم إلى هؤلاء الأطباء. بل إن الأسرار تتعلق بمصير الدولة العربية الاسلامية برمتها، لأن الخليفة يمثل سلطة البلاد الروحية والدينية، مما يدل على الثقة والتسامح الذي يكنه الخليفة لرعاياه والجهود الكبيرة التي يبذلها هؤلاء الأطباء. ولا يقتصر الأمر على الصحة، بل عمل بعضهم أيضًا كمعلمين لأبناء الخلفاء العباسيين

وجود المسيحيين (النصارى) في بغداد

قبل أن يبدأ الخليفة أبو جعفر المنصور (136هـ/749-158هـ/754هـ) في بناء مدينة بغداد، بزمن طويل سكن المسيحيين عدد من قرى بغداد، وكانت المنطقة منذ فترة طويلة مليئة بالأديرة المسيحية. مثل دير

صليبا ودير الجائليق ودير الثعالب على نهر الصراة [1] لم يكن لدى المنصور أي خطط لبناء مجتمع خاص للمسيحيين في مدينته، فقد اعتاد المسيحيون على بناء الأديرة في المناطق النائية ذات المياه الوفيرة والأشجار ، وانحاز معظم سكان منطقة الشماسية إلى المسيحيين ،اذ نزل فيها الرهبان والنساك والزهاد[2] ، ونزل المنصور في دير شرقي قرية العتيقة، بالقرب من المكان الذي بنى فيه قصر الخلد، وطرد منه الاشخاص الذين استملكوه بوضع اليد [3]

دخول الأطباء المسيحيين (النصارى) للبلاط العباسي

أصيب أبو جعفر المنصور بمرض في المعدة [4] فطلب من الوزير الربيع بن يونس[5] أن يأتيه بطبيب حاذق في مهنته ليعالجه. فأبدى له الوزير ضرورة استدعاء جورجيس بن بختيشوع [6] ، كانت هذه بداية دخول الأطباء المسيحيين إلى البلاط العباسي. تم استدعاؤه من جند يسابور [7]. وقد انتشرت شهرته إلى بغداد، فجاء إلى بغداد وبعد أن علم بحالة الخليفة بدأ بعلاج الخليفة وقدم له العلاج الذي يساعده على الشفاء. واحترمه المنصور وأبقاه في بغداد وعينه شخصياً طبيبًا له، وزوده بكل ما يلزم لعمله، ولكن عندما وصل بغداد لم يعالجه على عادته، وأُخبر بذلك عندما علم الخليفة به عندما ترك الطبيب زوجته في جند يسابور، اهداه ثلاث جواري، لكن الطبيب رفض بأدب قائلاً للخليفة: نحن المسيحيين لا تتزوج عدة نساء طوال حياتنا[8] ، فأعجب به الخليفة، وحمى جانبه، وأمر بإدخاله إلى جناح الحريم لأغراض المعالجة [9].

وفي ذلك العام (152هـ/769م)، أي بعد أربع سنوات من وصول الدكتور جورجيوس إلى بغداد، مرض مرضاً شديداً وكبر في السن، فاستأذن الخليفة أبو جعفر المنصور في العودة الى أهله في جند يسابور ليموت ويدفن هناك فأذن له الخليفة بذلك، وقال له منذ رأيتك وجدتك، وعندما ودعه عرض عليه الخليفة الإسلام قائلاً: يا أيها الحكيم اتق الله، أسلم، أضمن لك الجنة. فرد عليه الطبيب: أنا راضٍ بمكان والدي سواء في الجنة أو في النار، فضحك المنصور من كلامه وأخبره عن تلك الأمراض. فأمر الخليفة أن يعطيه عشرة آلاف دينار وخادم يعينه، وأمر أن يحمل على سرير إلى دار العامة، فخرج الخليفة بنفسه

([1]) على بن محمد الشابشتي، الديارات، تحقيق: كوركيس عواد،ط2،(بغداد، مكتبة المثنى، 1966):24، 28؛ مصطفى جواد وأحمد سوسه، دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا،(بغداد، مطبعه المجمع العلمي العراقي، 1958):9-10.

([2]) جان موريس فييه، احوال النصارى في خلافة بني العباس، ترجمة: حسني زينه، (بيروت، دار المشرق، 1990): 55، 274-275

([3]) محمد بن جرير الطبري، تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم ، ط 2 ، (القاهرة، دار المعارف، 1962): 3/ 274-275.

([4]) كان يشعر في بدنه يبوسه فيحلق من اجلها رأسه ويلطخه بالطيب ليخفف من الحرارة التي يشكو منها، ينظر: أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي موفق الدين ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء في طبقات الاطباء، تحقيق: عامر النجار، (مصر ، دار المعارف، 1996) : 219.

([5]) الربيع بن يونس: أبو الفضل الربيع بن يونس بن محمد بن عبد الله بن أبي فروة - واسمه كيسان - مولى الحارث الحفار، مولى عثمان بن عفان : كان الربيع المذكور حاجب ابو جعفر المنصور، ينظر: أحمد بن محمد بن أبي بكر ابن خلكان ، وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان، تحقيق: احسان عباس،(بيروت، دار صادر،1978): 2/ 29.

(6) جورجيس بن بختيشوع :طبيب نصراني سرياني بارع في مهنة الطب، ينظر: داود بن سليمان ابن جلجل ، طبقات الأطباء والحكماء، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة ، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية ، 1955):63-64.

([7]) جند يسابور : مدينة في خراسان بناها سابور بن اردشير وجعل فيها سبي الروم، اشتهرت بحذافة اطباؤها فكانت مركزا لتعليم الحكمة والطب والفلسفة زمن أكاسرة الفرس، فتحها المسلمون مع نهاوند سنة 19 هـ في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبكثرة زروعها، شهاب الدين عبد الله ياقوت الحموي، معجم البلدان (بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م):198/2

([8]) ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء :183

([9]) المصدر نفسه :185

ليودعه[1]وخلاصة القول نخلص إلى أنه كانت هناك علاقة كبيرة وحميمة بين الخليفة (الرمز الروحي والدنيوي للمسلمين) وطبيبه المسيحي. وحل محله طبيب جرجيس، وهو الطبيب المسيحي عيسى بن شلهوفا، لكن هذا الطبيب استغل مكانته عند الخليفة لإيذاء زملائه الأساقفة والكهنة وبدأ يطالبهم بالرشوة، ومنها رسالة كتب فيها رسالة إلى رئيس الأساقفة في نصيبين وطالبه بالرشوة قائلا له في رسالة: ألا تعلم أن أوامر الخليفة في يدي؟ يمكنك أن تمرضه إن شئت، أو تشفيه إن شئت[2] فنقل الأسقف المذكور هذه الرسالة إلى الوزير يونس بن الربيع وأوضح له ما فعل الطبيب، فأبلغ الخليفة أبو جعفر، فغضب وصدرت بحقه إجراءات تأديبية وصادرت أمواله أيضاً، كما نفيه من بغداد[3] وقضية هذا الطبيب هي مثال على بعض عمليات الخداع والأكاذيب التي يقوم بها بعض المسيحيين (النصارى) من أجل تحريض السلطات ضد مواطنيهم، الأمر الذي قد يؤدي في بعض الأحيان إلى اتخاذ إجراءات قاسية ضدهم. ومع أن هذه الإجراءات التي اتخذتها السلطات العباسية لم تكن سوى إجراءات مؤقتة بناء على ظروف محددة ولم تمثل سياسة ممنهجة ضد المسيحيين بشكل عام ولدينا إشارة الى عقوبة شديدة نفذت بحق أحد أطباء المنصور ويدعى خصيب[4] ، الذي أعطى دواء لمحمد بن ابي العباس السفاح وهو في البصرة فشرب فمرض وجلبوه الى بغداد فتوفى فأتهم الطبيب بقتله من خلال وصفة دواء غير صحيحة، فسجن حتى مات في السجن [5] وقد ازدادت مكانه الطبيب إسرائيل أبا قريش [6] عند الخليفة المهدي (158هـ / 774م - 169هـ 169هـ / 784م)، عندما تنبأ له بولادة الهادي والرشيد، اذ أصبح مقربا لدى الخليفة والطبيب الخاص بالعائلة وقدم على اقرانه من الأطباء[7] .

وعندما أثار الخليفة المهدي الأمر مع طبيبه بخصوص يوسف المروزي الذي كان يشغل منصب أسقف (مطران) مرو الذي قُبض عليه متلبسًا بتهمة اللواط، وعندما أراد التخلص من هذه التهمة، أسلم على يد الخليفة المهدي الذي استعمله في بعض مناطق البصرة، ولكن لتبرير إسلامه وإثبات ولائه للخليفة ادعى بأن المسيحيين (النصارى) أنهم كانوا يدعون ليل نهار لانتصار الروم، لم يكن أمام الخليفة المهدي إلا أن يستفسر من طبيبه عيسى، الذي قال له: يا امير المؤمنين ان الروم يكرهوننا أكثر من اليهود، وما لبث يوسف هذا كثيرا في عمله بالبصرة أذ أرتد وهرب الى الروم[8] .

ونستنتج من ذلك ان بعض المسيحيين(النصارى) كانوا سببا في محاوله تأليب السلطة على أبناء جلدتهم المصالح شخصيه، وفي لحظة غضب أصدر الخليفة موسى الهادي أوامره بأن يقتل جميع أطباء القصر بما فيها أبا قريش الحظي عند والده وذلك لما ألم به مرض لم يتمكن أطباؤه من إيجاد علاج له، فجمع اطباؤه وقال لهم: أنتم تأكلون أعطياتي و تتخلون عني في وقت شدتي، فأجابه الطبيب الشهير أبو قريش: علينا أن نجتهد والله يعطي السلامة فانزعج الخليفة من كلامه وأمر بقتل جميع أطباء البلاط، لكن وزيره لم ينفذ الأمر لأنه كان يعلم ذلك بان الخليفة يموت[9] ، وحقق الأطباء مكانة رفيعة عند الخليفة هارون الرشيد الرشيد (170هـ/786م – 193هـ/808م) لأنه زاد من إجلال الأطباء واحترامهم. وكان الطبيب المسيحي

([1]) ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء:183؛ غريغوريوس أبي الفرج بن اهرون الملطي ابن العبري، تاريخ مختصر الدول ، ، تحقيق: خليل المنصور ،(بيروت، دار الكتب العلمية، 1997) : 215

([2]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول:216

([3]) ابن العبري، تاريخ مختصر الدول :216

([4]) خصيب: طبيب للخليفة ابو جعفر المنصور نصراني من البصرة، كان متمكنا من صنعته مشهورا فيها، ينظر: ابن ابي ابي اصيبعه، عيون الانباء: 214.

([5]) ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء: 215.

([6]) ابا قريش : الكنيه التي لقبه بها الخليفة المهدي بعد ان تنبأ بحمل زوجة الخليفة بالهادي وهارون، ويدعى عيسى كان صيدلانياً يجلس على موضع نحو باب قصر الخليفة يطيب نساء وكان ديناً صالحاً في نفسه ، علي بن يوسف القفطي، اخبار العلماء بأخبار الحكماء، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2005) :215 .

([7]) أسحق بن علي الرهاوي، ادب الطبيب، تحقيق: ميرزن سعيد ميرزن عسيري،(الرياض، مطبعة الملك فيصل للبحوث للبحوث والدراسات الإسلامية، 1992): 323.

([8]) فييه، احوال النصارى:74-75

([9]) ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء: 186.

(النصراني) جبرائيل بن بختشيوع من أبرز أطبائه[1]. فقد جاء من جنديسابور ليعالج جارية للخليفة، كانت كانت يدها متشنجة عندما عجز معاصروه عن علاجها، فعالجها الأطباء بالمراهم والمراهم ولكن دون جدوى. فلما جيء بجبريل كلم الخليفة. فإذا أحضرتها إلى هنا أمام الجميع، أستطيع أن أحضر لها الدواء حتى أعالجها بما أراه مناسبًا دون أن تغضب مني، فوافق الخليفة، وأحضروها، وبمجرد أن رآها جبريل قفز. أمامها وأمسك بذيلها وكأنه يكشف أعضائها التناسلية. ومن شدة حياء الجارية اشتعل جسدها كله، وكانت واعية، واسترخت أطرافها، ومدت يديها المتشنجتين. وأمسكت بذيلها لتستر نفسها، وترك الطبيب ثيابها وقال للخليفة: لقد شفيت، فمدت الجارية يديها عن اليمين واليسار، والخليفة هارون الرشيد مد يده. لقد صدم جميع الحاضرين وأمر للطبيب بخمسمائة ألف درهم[2] وقربه له كثيرا . حتى انه قال لحاشيته واصحابه من كان يريد مني حاجة فليخاطب جبرائيل لأني افعل كل ما يطلبه مني[3].

وكان لطبيب جبرائيل مكانة رفيعة عند الخليفة هارون الرشيد حتى أنه كان يشرف على النظام الغذائي للخليفة بشكل كامل، فيسمح له بالأكل في الصباح ويحرم عليه تناول بعض الأطعمة الضارة ويبقى معه مدة طويلة. وكان تعلق الخليفة بطبيبه لدرجة أنه أثار غيرة الكثيرين من خلال تقديم الهدايا والأموال السخية له، حتى أنه بعد عودته من اداء مناسك الحج ذكر انه دعا له كثيراً في وقفة عرفات، فقال له أحد جلسائه:((ما الطبيب إلا ذمياً، فأجابه الخليفة: نعم، ولكن صلاح بدني وقوامه به صلاح المسلمين بي، فصلاحهم بصلاحه، وبقاؤهم ببقائه))[4].

طبيب الخليفة هارون الرشيد أنقذ حياته

يروي لنا التنوخي عن جبرائيل بن بختيشوع أنه كان يرافق الخليفة هارون الرشيد وولديه المأمون والامين في زيارة إلى مدينة الرقة، وأن الرشيد خلط أنواع عديدة من الطعام وبعد أن تناولها دخل لينام وجاء إليه غلمانه وابنه المأمون، وعندما رأوا مظهره ظنوا أنه قد مات. فشاع خبر الخليفة بين الجميع، فقال جبريل: ذهبت فتحسست نبضه فوجدته ضعيفاً، فأخبرتهم أن أمير المؤمنين لم يمت، فطلبت أن نعمل له حجامة، وافقني المأمون على ذلك، وطلبت الحجام فجاء وشرط فخرج الدم فسجدت وحمدت الله، فجعل يخرج دم أكثر، كلما زاد حرك رأسه، تغير لونه الى ان بدأ بالحديث معنا، وبدا أنه قد استعاد صحته، أعطيناه صدر دراج، وأسقيناه نبيذا وكنت اسعطه بالطيب وهذا من شأنه أن يبقيه مستيقظًا حتى يستعيد قوته ودخل عليه الخاصة والقواد فسلموا عليه عن بعد، فلما برأ تماما دعا صاحب حرسه وحاجبه وصاحب شرطته[5]، فسأل صاحب الحرس عن غلته في كل سنه فقال انها ألف ألف درهم ، وسأل صاحب شرطته عن غلته فقال انها خمسمائة ألف درهم، ثم قال: يا جبريل كم غلتك ؟ فقلت: خمسون ألف درهم، فقال: ما أنصفناك، حيث غلات هؤلاء وهم يحرسوني، ويحجبوني عن الناس على ما هي عليه، وتكون غلتك ما ذكرت، وأمر بأقطاعي ما قيمته الف الف درهم لكنني رفض وطلبت من الخليفة ان يهبني ما أشتري به ضياعا بقيمه الف الف درهم، فأجاب الخليفة طلبي وأعانني على ابتياع ما أرغب به من ضياع[6] .

ان وجود الطبيب جبرائيل بن بختيشوع في القصر العباسي وبالقرب من الخليفة هارون الرشيد ، الذي كان إعجابه يزداد به يوما بعد آخر، يمثل دعما كبيرا للمسيحيين (النصارى) أصبحوا الآن قادرين على عرض قضاياهم مباشرة الى الخليفة والدفاع عنها، إذ كان لهذا الطبيب دور فعال في قضية إيقاف هدم

([1]) جبرائيل بن بختيشوع: وهو رئيس الاطباء في جنديسابور حاذقا متمكنا من صنعته له منزلة كبيره في نفوس الخلفاء توفي سنه(213هـ / 828 م)، صلاح الدين بن خليل بن ايبك الصفدي، الوافي بالوفيات، تحقيق: احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى،(بيروت، دار احياء التراث،2000):39/11

([2]) غريغوريوس أبي الفرج بن اهرون الملطي ابن العبري، تاريخ الدول السرياني، مجلة المشرق : مج472/43.

([3]) القفطي، اخبار العلماء:95

([4]) القاضي أبو علي المحسن التنوخي، الفرج بعد الشده، (مصر، مطبعة الهلال بالفجالة،1903):219/4-220

([5])التنوخي، الفرج بعد الشده:219/4-220

([6])التنوخي، المصدر نفسه والصفحة.

الكنائس في البصرة والأبله والتي حدثت بوشاية من احد الأشخاص في البصرة يدعى حمدون بن علي ، وهو من الذين يبغضون النصارى فأدعى إن المسيحيين (النصارى) يعبدون ويسجدون لعظام الموتى وهي موجوده في كنائسهم في البصرة، وأوصل ذلك الخبر الى الخليفة هارون الرشيد، الذي أستشاط غضباً شديداً وأمر بهدم تلك الكنائس، فهدم منها بيع في البصرة والأبله، مادفع سرجيس مطران البصرة الى الاتصال بالطبيب جبرائيل وطلب منه التدخل، وتمكن الطبيب جبرائيل والنصارى الذين يعملون في خدمة الخليفة من عرض الحقيقة أمامه وعرفوه أن النصارى لا يعبدون ولا يسجدون لعظام الموتى، وإنما بل يكرمون أجساد الشهداء والصالحين والحواريين كما يفعل بقبور الأنبياء واجسادهم ، فتحقق الخليفة من ذلك وأمر بإعادة اعمار تلك البيع والكنائس[1] .

موت الخليفة وهدر دم طبيبه

تدهورت العلاقة بين الخليفة هارون الرشيد وطبيبه الخاص جبرائيل. ولما مرض الخليفة بطوس سنة 193هـ/ 809م[2] ، فحصه الطبيب جبرائيل فشخص مرضه بأنه بسبب الإفراط في الأكل والراحة في الفراش. فسأله الخليفة: لماذا لا توضح لي؟ أجاب جبرائيل: "لقد سئمت دائمًا من الارتباك". قلت: في الماضي، كانت لديك القدرة على ممارسة الجماع بشكل أقل، لكنك لم تستمع. والآن أطلب منك العودة إلى بغداد لأنها تناسب مزاجك أكثر، ولكن إذا لم تقبل ذلك فهذا مرض خطير. كان هارون الرشيد غاضبًا من الطبيب وأمر بسجنه. ولزيادة غضب الخليفة، تم إحضار أسقف من بلاد فارس لفحص حالة الخليفة، وقال إن تشخيص جبرائيل كان خاطئًا وألقى اللوم عليه. تدهورت صحة الخليفة فقيل له: إن الذين يعالجونك لا يفقهون في الطب... هذا المرض كله خطأ جبرائيل، آمن الخليفة به فقط وأمر بقتل جبرائيل إلا وزرائه ومنهم الفضل بن ربيع أنقذ جبرائيل من الموت بتأخر تنفيذ الحكم فيه، وبوفاة الخليفة هارون الرشيد انقذ الطبيب من القتل[3].

جبرائيل يخدم الخليفة الأمين

وبعد وفاة الخليفة هارون الرشيد، التحق الطبيب جبرائيل بن بختيشوع بخدمة الخليفة محمد الامين (193هـ/809م - 198هـ/813م)، الذي كان مربيا ومؤدبا له فيما سبق، والقى الصراع الدامي بين الخليفة الأمين والمأمون بظلاله على أوضاع النصارى في بغداد، ولا نملك معلومات كافية عن طبيعة العلاقة بين الخليفة الأمين والنصارى، لاسيما قلة المدة التي قضاها في الحكم قبيل مقتله. ومن الأمور التي قام بها الأمين أثناء وجوده في السلطة هو تنفيذ أوامر والده بإعادة بناء الكنيسة المدمرة في البصرة[4]. وتطورت علاقة الخليفة الأمين بطبيبه وطبيب أبيه جبرائيل. لدرجة أن الخليفة الأمين لا يأكل ولا يشرب إلا بإذنه[5] ، ولكن بسبب انعدام الأمن وقتل الأمين إذ تعرضت دار الطبيب جبرائيل للنهب وكذلك تضررت مزرعته في البصرة[6].

([1]) ماري بن سليمان، اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل، تحقيق: قاسم محمد الرجب، (روما ،د.ط ، 1899م):74-75؛ فييه، أحوال النصارى:96.

([2]) طوس: هي مدينة بخراسان بينها وبين نيسابور نحو عشرة فراسخ تشتمل على بلدتين يقال لإحداهما الطابران وللأخرى نوقان ولهما أكثر من ألف قرية فتحت في أيام الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه، وبها قبر علي بن موسى الرضا، وبها أيضا قبر الخليفة هارون الرشيد، ياقوت الحموي، معجم البلدان: 49/4

([3]) القفطي، اخبار العلماء:99؛ بن سليمان، اخبار فطاركة 75؛ جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر السيوطي ،تاريخ الخلفاء، (بيروت: دار بن حزم،2003) : 218.

([4]) بن سليمان، اخبار فطاركة 74-75.

([5]) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني : مج472/43.

([6]) ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء: 194-195

وتأثر النصارى في بغداد بتلك الحرب حالهم في ذلك حال اهل بغداد وفي سنة 197هـ/812م وقعت معركة بين جيشي الأمين والمأمون. في حي النصارى في منطقة الشماسية، كان الوضع خطيرا لدرجة أن أعمدة الكنائس اقتلعت لعمل مقذوفات للمنجنيق، حيث لم يكن هناك حجارة في بغداد في ذلك الوقت[1] .

وبعد مقتل الخليفة محمد الأمين ظل الطبيب جبرائيل بعيدا عن الخليفة المأمون ولم يتقرب منه فغضب الخليفة منه وأمر بالقبض عليه ومصادرة جميع أمواله[2] ولكن بعد مرض وزير المأمون الحسن بن سهل دفع بالوزير على إطلاق سراحه من السجن حتى يتمكن من علاجه. وبعد شفائه توسط لدى الخليفة المأمون الذي أمر بإطلاق سراحه، ولما وصل المأمون إلى بغداد سنة 204 هـ/ 819 م، استدعى ميخائيل المتطبب وأكرمه إهانة لجبرائيل كونه صهره، لكن ما لبث أن تعرض الخليفة المأمون لوعكة صحية ولم يتمكن ميخائيل من علاجه، فاستدعى الطبيب يوحنا بن ماسويه[3] ، لكن ميخائيل جاهد في إبعاد يوحنا بن ماسويه واقترح إحضار جبرائيل الذي يستطيع تشخيص مرض الخليفة وعلاجه. فأعطاه الخليفة المأمون بسخاء ألف وألف درهم والف كر من القمح[4]. ورد عليه ما كان من مصادرة الأملاك، ومنذ ذلك الوقت تحسنت علاقة جبرائيل بالخلفاء العباسيين وعادت مكانته الى سابق عهدها من التقدير والاحترام وكان عند المأمون بمثابة ابيه، حتى انه أصدر امرا جاء فيه: كل من تقلد عملا لا يخرج إلى عمله إلا بعد ان يلتقي جبرائيل ويكرمه[5] وفي هذا الوقت ضعفت أهمية الطبيب ميخائيل عند المأمون، مرض جبرائيل وتوفي ودفن في دير مار سرجيس بالمدائن بالقرب من مدينة بغداد، وتولى مهمته أبنه بختيشوع بدلا عنه، وحدث ان غضب الخليفة المأمون من طبيبه جبرائيل الكحال لأنه أفشى خبر نومه من دون استئذان الخليفة، فغضب الخليفة وقال له: يا جبرائيل اتخذتك كحالا لي!! أو عاملا على الأخبار عني!! رد على مكاحلي وأميالي واخرج من داري، وعاقبه بان خفض راتبه من خمسين ألف درهم الى مئة وخمسون درهما [6].

وأتخذ الخليفة المعتصم سلمويه بن بنان[7] طبيا خاصا له ، يرافقه في قدومه وأسفاره ولا يتركه أبدًا حتى قال عنه حتى قال عنه سلمويه طبيبي عندي أعظم من قاضي القضاة، الذي يحكم مالي، وطبيبي يحكم نفسي، ونفسي أشرف عندي من مالي وملكي[8] ولما مرض الطبيب سلمويه أخذ الخليفة المعتصم ابنه لزيارته وعندما عاد من الزيارة قال أعرف ومتأكد أنني لن أعيش بعده بعد الآن لأنه اهتم بحياتي ويدبر جسمي، ونظرا لمكانته الكبيرة في نفس الخليفة الذي كان يلقبه في كثير من الأحيان بـ "والدي"، تواضع الخليفة وتسامحه وحبه للآخرين من الديانات الأخرى. وقد بلغ من قربه من الخليفة المعتصم انه كان يرد الى الدواوين توقيعات الخليفة في السجلات وغيرها بخط سلمويه، والتي تولى أمرها أخوه إبراهيم بن بنان

([1]) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني : مج43/473.

([2]) ابن العبري، المصدر نفسه: مج43/471.

([3]) يوحنا بن ماسويه : من علماء الأطباء سرياني الأصل عربي المنشأ، كان أبوه صيدلانيا وكان أحد الذين عهد إليهم هارون الرشيد بترجمة ما وجد من كتب الطب القديمة، في أنقرة وعمّورية وغيرهما من بلاد الروم، وجعله أمينا على الترجمة، ورتب له كتّابا حاذقين بين يدي له نحو أربعين كتابا معظمها رسائل، منها البرهان والأزمنة و النوادر الطبية و ماء الشعير وجواهر الطيب المفردة و دغل العين والحميات وقد ترجم هذان إلى العبرية، ومنهما مخطوطتان بها. توفي بسامرا سنة 234هـ/857م، ينظر: ابن جلجل، طبقات الأطباء والحكماء:56-66؛ خير الدين بن محمود بن محمد الزركلي، الاعلام، ط15، (بيروت، دار العلم للملايين،2002):8/211.

([4]) الكُر: مكيال لأهل العراق، وهو ستون قفيزاً، والقفيز ثمانية مكاكيك ويساوي ٧٢٠ صاعاً = ١٥٦٦٠٠ غراماً = ١٩٨٢ لتر، محمد بن مكرم بن على ابن منظور، لسان العرب،(بيروت، دار صادر، 2003):12/65؛ فالتر هنتس، المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري، ترجمة: د. كامل العسلي، (الأردن ، الجامعة الأردنية،1970):69.

([5]) القفطي، اخبار العلماء:190

([6]) ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء: 243

([7]) سالمويه ابن بن بنان : طبيب مسيحي نسطوري(نصراني) من أشهر أطباء عصره، وأصبح الطبيب الخاص للخليفة المعتصم، وترجم اعمال جالينوس من اليونانية الى العربية، توفي بحدود سنة225 هـ/ 837م،ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء: 243؛ أحمد بن يحيى بن فضل الله العمري، مسالك الأبصار في ممالك الأمصار،(ابو ظبي، المجمع الثقافي،2002): 9/387-388.

([8]) الرهاوي، ادب الطبيب:221.

بعد وفاته سنة 225هـ/839م، بيوت الأموال في البلاد، حزن عليه المعتصم كثيرا، ولم يعش بعده تمام السنة[1]

يتضح لنا من ذلك ان علاقة الخلفاء العباسيين كانت علاقة حميمية طيبه مع اطباؤهم المسيحيين(النصارى)، فكانوا ذوو مكانة ومنزلة عندهم فاقت منزله الكثير من افراد حاشيتهم وقادتهم وعمالهم الأمر الذي يعكس طبيعة العلاقة فيما بينهم مع اختلاف معتقداتهم[2]

التزم الخليفة المعتصم بوصية سلمويه بأن يتخذ من يوحنا بن ماسويه طبيبا خاصا له، لكنه لم يكن ناجحا في مهمته فمرض الخليفة بعد سلمويه فما لبث أن توفي في العام 227هـ/ 841م وبعد وفاة الخليفة المعتصم التحق الطبيب يوحنا بن ماسويه بخدمة الخليفة الواثق 227-323هـ/ 841-846م[3]

هبات الخلفاء للأطباء

وكان لأطباء البلاط العباسي مكانة عالية بين الخلفاء، وكانوا يعتبرون من التابعين والمقربين من الخلفاء العباسيين، وكان بعضهم أغدق عليهم الخلفاء الاعطيات والهبات والرواتب الكبيرة، مما دفعهم إلى التنافس مع بعضهم البعض لنيل رضا الخليفة. ومن الأمثلة على ذلك إن الطبيب إسرائيل الكبير أبا قريش نال عطايا سخية من الخليفة المهدي عندما أخبره بحمل زوجة الخليفة الخيزران بولديه المهدي وهارون اذ طلبه الخليفة الهادي للمثول بين يديه وعندما حضر أخذ يطره عليه الخلع والدراهم والدنانير حتى علت رأسه وأكرمته زوجة الخليفة الخيزران بهبة سخية[4]

وقد منحه الخليفة الواثق (227-232هـ / 842-847م) ثلاثمائة ألف درهم لطبيبه يوحنا بن ماسويه لأنه كان يدرك معنى كتمان الأسرار عند الخليفة[5]

دور الأطباء المسيحيين (النصارى) في حركة الترجمة

أدى توسع الدولة العربية الإسلامية واستقرارها وازدهارا بكثرة إيراداتها، واحتكاك المسلمين بغيرهم من الاقوام والذين يحملون ثقافة ولغة وتقاليد تختلف عن التقاليد الإسلامية، فضلا عن رعاية الخلفاء للعلم والمتعلم وتقريبهم للعلماء واحترامهم لهم، وحاجة الدولة للعلوم والمعارف، ومع ان العرب ترجموا كتب من لغات أخرى للعربية قبل مجيء الإسلام، إذ يذكر ابن جلجل ان أول من صنف في الطب من العرب قبل الإسلام كان الحارث بن كلده الثقفي[6] والذي تعلم الطب بنواحي بلاد فارس واليمن، وله كتاب المحاورة في الطب بينه وبين كسرى انو شروان[7] ثم تطورت ترجمة الكتب العلمية في العصر الأموي وحظت بتشجيع من الامراء الامويين أمثال خالد بن يزيد، ولما جاء العصر العباسي ازدهرت حركة التأليف والترجمة من اللغات الأخرى، وإلى حد عهد الخليفة هارون الرشيد كانت اغلب الكتب على رقائق بردي وعلى جلد الماعز، لذلك اشترى الخليفة مصنعًا للورق من سمرقند كان قد صنعه الصينيون الأسرى لدى الحامية الإسلامية في المدينة[8] ،وبوفرة الورق أصبحت الترجمة التي ابتدأت منذ عهد الخليفة أبي جعفر المنصور بترجمة كتب الطب للحاجة الماسة اليها، متيسرة من خلال توفر الورق، وقد ازدهرت

([1]) القفطي، اخبار العلماء:190؛الرهاوي، ادب الطبيب:221؛ العمري، مسالك الأبصار: 9/387-388.
([2]) ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء: 243
([3]) الرهاوي، ادب الطبيب:222؛ العمري، مسالك الأبصار: 9/388.
([4]) الرهاوي، ادب الطبيب:222
([5]) ابن العبري، تاريخ الدول السرياني : مج43/473.
([6]) الحارث بن كلده: هو الحارث بن كلده بن عمرو بن علاج الثقفي، طبيب العرب، وهو من ثقيف من اهل الطائف، رحل رحل إلى بلاد فارس واخذ الطب عن جند يسابور وغيرها ثم عاد الى الطائف، ابن ابي اصيبعه، عيون الانباء: 388-397؛ ابن جلجل ، طبقات الأطباء:54-55.
([7]) ابن جلجل ، طبقات الأطباء:54.
([8]) كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي،(بغداد، دار النضال للطباعة،1990): 218-219.

حركة الترجمة في عهد الخليفة هارون الرشيد إلا انها بلغت اقصى درجات تطورها في عهد الخليفة المأمون والذي كان محبا للعلم والعلماء وشملت الترجمة في عهده مختلف صنوف المعرفة، من طب وفلسفة ومنطق وعلوم أخرى فضلا عن الأدب، ولأن أغلب المسلمين كانوا يجهلون اللغة اليونانية فقد استعانوا بالسريان الذين يجيدون اللغة السريانية ، فكان بعضهم يترجم من اليونانية للعربية والبعض الآخر يترجم من اليونانية الى السريانية ومن ثم للعربية، وبذلك فقد اصبح الأطباء السريان النصارى حلقة وصل بين المسلمين الطامحين للتعلم والاستزادة من العلوم وبين العلوم والثقافة اليونانية، وبذل الخلفاء أموال طائله من اجل الترجمة بما فيها شراء الكتب من الروم وكذلك رواتب واعطيات للمترجمين، على ان بعض الاسر العباسية دعمت باب الترجمة للعربية من اللغات الأخرى[1] .

الخاتمة

ناقشنا في الصفحات السابقة موضوع **"علاقة الاطباء المسيحيين (النصارى) بالخلفاء العباسيين"**

وهو موضوع مهم تعرفنا من خلاله على العلاقة بين الأطباء النصارى وبين الخلفاء العباسيين ومن خلال متابعة الموضوع تبين لنا:

1- ان الدولة العباسية اهتمت بعلوم الطب لحاجتها الماسة له ولان الدولة اتسعت وتطورت وازدهرت وكثرت أموالها.
2- فحرص الخلفاء العباسيين على استقدام أمهر الأطباء، وكان تركيزهم على الأطباء المسيحيين النسطوريين من الذين أظهروا براعة وتفرد في مهنتهم، وهم من كبار أطباء جنديسابور من بقايا الأسرى الروم الذين جلبهم الفرس من حروبهم مع الروم.
3- ان جميع هؤلاء الأطباء كانوا من المتميزين والمشهورين في صنعتهم، وقد عملوا في رعاية ومتابعة صحة الخلفاء ومأكلهم ومشربهم وهم مؤتمنون على ذلك لان الخليفة انما هو خليفة رسول الله وهو أعلى سلطة روحية ومدنية في المجتمع الإسلامي، وبرغم اختلاف الدين بين الأطباء والخلفاء لان الأطباء يدينون بالمسيحية في حين ان الخليفة يدين بالإسلام.
4- ان الدولة العربية الإسلامية كانت في حالة حرب مستمرة مع الروم الذين يدينون بالمسيحة، مع ذلك أظهر الأطباء النصارى اخلاصا وامانة لمهنتهم وتفاني في أدائها علماً ان حياة الخلفاء كانت مرهونة بين أيدي هؤلاء الاطباء.
5- كذلك أظهر الخلفاء تواضعا وسماحه وطيبا واخوة إنسانية كبيرة في تعاملهم مع الأطباء الذين كانوا محط ثقتهم واعجابهم فقربوهم الى درجة كبيره بحيث تجاوزوا الفوارق الدينية بين الطرفين فكانوا يسامرونهم ويمزحون معهم في جو من الراحة وطيب النفس وكانوا لا يشربون ولا يأكلون إلا تحت اشرافهم المباشر. وقدر أكرموا اطبائهم ماديا ومعنويا حتى ان الفوز بالعمل في القصر كان امنية لكل طبيب.
6- ولم يقتصر عمل هؤلاء الأطباء على الخدمة في قصر الخليفة وانما عملوا في مجال البحث العلمي اذ تولوا عملية الترجمة للكتب اليونانية الى العربية او الى السريانية ومن ثم العربية، وقد كان لبعضهم شروحات وتعليقات علمية عظيمة على تلك المنصفات، وعملوا في مجال التعليم والتدريب بأشرافهم على المستشفيات التي انشئها الخلفاء في سني حكمهم المختلفة، وكانت تضم هذه البيمارستانات طلبة علم يقوم الأطباء بتعليمهم مهنة الطيب ويتولون تدريبهم، حتى ان الخلفاء اسندوا لهم بعض المناصب الإدارية في هذه المؤسسات.
7- ومن خلال عرضنا للموضوع وجدنا تعرض بعض الأطباء لأحكام قاسية من الخلفاء نتيجة بعض الأخطاء التي تعمد البعض إيقاعهم بها حسدا منهم أو لا اخطاء ارتكبها الأطباء أنفسهم، فتتعرض أموالهم

([1]) نصر الدين جار النبي سليمان، ، حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسي الاول (132-232هـ) ،مجلة جامعة شندي، العدد الأول يناير 2004: 88.

الى المصادرة وربما يتعرضون للسجن أو القتل، وبذات الوقت وجدنا حصول كثير منهم الى هبات وعطايا من قبل الخلفاء وفي مناسبات عده حتى غدا طبيب الخليفة من اغنى طبقات المجتمع.

8- اتضح لنا ان وجود الأطباء المسيحيين (النصارى) في القصر العباسي له دور كبير في إيصال صوت اقرانهم من المسيحيين(النصارى) للسلطة الحاكمة، وبالتالي حمايتهم ودعم قضاياهم التي تعرض من وجهة نظر واحدة امام الخلافة.

9- تبين لنا من بعض الحالات ان بعض المسيحيين(النصارى) كان يكيل التهم والافتراءات ضد أبناء جلدته لأسباب شخصيه، وكان للأطباء المسيحيين(النصارى) دور في كشفها وايضاح الحقيقة للخليفة.

قائمة المصادر والمراجع

القرآن الكريم

اولاً: المصادر الاولية

1- ابن ابي اصيبعه، أحمد بن القاسم بن خليفة بن يونس الخزرجي (ت 668هـ/1270 م)
- **عيون الانباء في طبقات الاطباء**، تحقيق: عامر النجار، (مصر، دار المعارف، 1996)

2- ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن اهرون الملطي، (ت685هـ/ 1286م)
– **تاريخ مختصر الدول**، تحقيق: خليل المنصور، (بيروت، دار الكتب العلمية، 1997)

3- ابن جلجل، داود بن سليمان، (ت ٣٨٣ هـ - ٩٩٤ م)
- **طبقات الأطباء والحكماء**، تحقيق: فؤاد سيد، (القاهرة، مطبوعات المعهد الفرنسي للآثار الشرقية، 1955)

4- ابن خلكان، أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت 681هـ/ 1282م)
- **وفيات الأعيان وانباء أبناء الزمان**، تحقيق: احسان عباس، (بيروت، دار صادر،1978)

5- ابن منظور، محمد بن مكرم بن على (ت711 هـ /1311م)
- **لسان العرب**، (بيروت، دار صادر، 2003)

6- بن سليمان، ماري، (توفي بعد 1130)
- **اخبار فطاركة كرسي المشرق من كتاب المجدل**، تحقيق: قاسم محمد الرجب، (روما، د.ط، 1899م)

7- التنوخي، القاضي أبو علي المحسن، (ت 384 هـ /994 م)
- **الفرج بعد الشده**، (مصر، مطبعة الهلال بالفجالة،1903)

8- الرهاوي، أسحق بن علي (كان حيا 632 ه /1234 م)
- **ادب الطبيب**، تحقيق: ميرزن سعيد ميرزن عسيري، (الرياض، مطبعة الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، 1992)

9- السيوطي، جلال الدين عبد الرحمن بن ابي بكر، (ت 911هـ/ 1505م)
- **تاريخ الخلفاء**، (بيروت: دار بن حزم،2003)

10- الشابشتي، على بن محمد، (٣٨٨ هـ / ٩٩٨ م)
- **الديارات**، تحقيق: كوركيس عواد، ط2، (بغداد، مكتبة المثنى، 1966)

11- الصفدي، صلاح الدين بن خليل بن ايبك، (ت764 هـ / 1363 م)
- **الوافي بالوفيات**، تحقيق: احمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، (بيروت، دار احياء التراث،2000)

12- الطبري، محمد بن جرير، (ت 310 هـ/ 923م)
- **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، ط 2، (القاهرة، دار المعارف، 1962)

13- العمري، أحمد بن يحيى بن فضل الله، (ت749 هـ/1349 م)
- **مسالك الأبصار في ممالك الأمصار**، (ابو ظبي، المجمع الثقافي،2002)
14- القفطي، علي بن يوسف، (ت ٦٤٦ ه/ 1248)
- **اخبار العلماء بأخبار الحكماء**، تحقيق: ابراهيم شمس الدين، (بيروت، دار الكتب العلمية، 2005)
15- ياقوت الحموي، شهاب الدين عبد الله، (ت 622هـ/1225م)
- **معجم البلدان** (بيروت، دار الكتب العلمية، 1990م)

ثانياً: المراجع الثانوية

1- جواد، وأحمد سوسه،
- **دليل خارطة بغداد المفصل في خطط بغداد قديما وحديثا**، (بغداد، مطبعه المجمع العلمي العراقي، 1958)

2- الزركلي، خير الدين بن محمود بن محمد،
- **الاعلام**، ط15، (بيروت، دار العلم للملايين،2002)

3- السامرائي، كمال
- **مختصر تاريخ الطب العربي**، (بغداد، دار النضال للطباعة، 1990)

4- فييه، جان موريس
- **احوال النصارى في خلافة بني العباس**، ترجمة: حسني زينه، (بيروت، دار المشرق 1990)

5- هنتس، فالتر،
- **المكاييل والأوزان الإسلامية وما يعادلها في النظام المتري**، ترجمة: د. كامل العسلي، (الأردن، الجامعة الأردنية،1970)

ثالثاً: البحوث والمقالات المنشورة في المجلات:

1- ابن العبري، غريغوريوس أبي الفرج بن اهرون الملطي،
- **تاريخ الدول السرياني**، مجلة المشرق - السنة 43 - 1949م

2- سليمان، نصر الدين جار النبي،
- **حركة الترجمة وأثرها الحضاري في عصر العباسي الاول (132-232هـ)**، مجلة جامعة شندي، العدد الأول يناير 2004